SOCIETAL ISSUES

ثقافة التسامح وقبول الآخر

اعـداد

أ.د/ على جوده محمد عبد الوهاب

أستاذ المناهج وطرق تدريس المواد الإجتماعية بكلية التربية

جامعة بنها

أولاً: ثقافة التسامح وقبول الآخر:

التطور التاريخى لمفهوم التسامح وقبول الآخر :

لعل أول من استعمل كلمة التسامح هو المُصلح البروتستانى "مارتن لوثر"(Martin Luther) فى حدود عام ١٥٤١م ،وذلك عندما ربط التسامح بحرية المعتقد والإيمان والضمير، وتزامن مع هذا بروز النزعة الإنسانية عند مجموعة من المصلحين اللاهوتيين والمسيحيين الذين تركوا بصمات واضحة فى جهودهم لإصلاح الكنيسة فى الغرب ، ومن هؤلاء "إرازموس (Erasmuss) " وميشيل دى لوسبيتال (Micael Delospital) ، ومونتان (Montan) ، حيث ينظر لهؤلاء الفلاسفة على أنهم مؤسسوا فكرة التسامح فى عصر النهضة عندما أكدوا على ضرورة تحقيق الوئام المدنى بين مختلف الفئات والتيارات الدينية ، وهذه الدعوة هى التى أدت إلى المصالحة بين الكاثوليك والبروتستانت فى عام ١٥٩٨ ، فلم تكن هذه المصالحة على حساب المعتقدات الخاصة ، وإنما للتعايش معاً بوصفهم إخوة ومواطنين ، ومن ثم فقد نتج عن ذلك التمييز بين طاعة المواطن للقانون العام فى المجتمع ، وبين الحرية الداخلية لكل عضو فى المجموعة .

وإذا كان مفهوم التسامح هو وليد حركة الإصلاح الدينى الأوربى ، فإنه قد نشأ ليعبر عن تغير فى الذهنية نتيجة علاقات جديدة ، هى علاقة الاعتراف المتبادل بين القوى التى استمرت تتصارع طوال القرن السادس عشر ، أى خلال الحروب الدينية الأوروبية عندما حدث إنشقاق داخل الدين الواحد ، ثم تم تجاوزه عن طريق الاعتراف بالحق فى الاختلاف فى الاعتقاد، ثم فى حرية التفكير والاعتقاد بوجه عام .

وفى هذا السياق التاريخى يطلق البعض على التسامح " الفضيلة الصعبة " لأن التسامح يبدو ضرورياً ومستحيلاً فى نفس الوقت ، فهو ضرورى عندما توجد مجموعات مختلفة لديها معتقدات أخلاقية أو سياسية أو دينية متعارضة أو متناقضة ، وتكون هذه المجموعات مدركة أنه لا يوجد بديل أمامها سوى العيش معاً ، لأن البديل الآخر هو الصراع المسلح أو الحروب والتى لن تحل خلافاتهم بل ستفرض عليهم المزيد من المعاناة ، وهذه هى الظروف التى يكون فيها التسامح ضرورياً ، ومع ذلك فإنه قد يبدو فى هذه الظروف ذاتها مستحيلاً ، فعندما يكون هناك تهديداً بالعنف أو بانهيار التعاون الاجتماعى ، فإن ذلك يرجع

إلى أن الناس تجد معتقدات الآخرين أو طريقتهم فى الحياة غير مقبولة على الإطلاق ، ففى أمور الدين مثلاً – وهو المجال الذى استخدمت فيه فكرة التسامح أول ما استخدمت فى التاريخ – تنشأ الحاجة إلى التسامح لأن إحدى المجموعات على الأقل تعتقد أن المجموعة الأخرى مخطئة بشكل فاحش ، ونظراً لأن الخلاف يكون عميقاً فكلا الطرفين يعتقد أنه لا يستطيع قبول وجود الطرف الآخر ، ومن ثم تكون هناك حاجة إلى تحمل الآخرين وطريقتهم فى الحياة ، وبخاصة فى المواقف التى يكون فيها من الصعب جداً حدوث ذلك ، بحيث يمكن القول بأن التسامح يكون ضرورياً فقط فى المواقف غير المحتملة ، وهذا ما يجعله صعباً إلى هذه الدرجة .

كما ينظر لمفهوم التسامح بأنه ولد ليوظف توظيفاً سياسياً وأيديولوجياً، فقد ظهرت كلمة التسامح أول ما ظهرت فى كتابات الفلاسفة فى القرن السابع عشر الميلادى من الصراع بين الأديان والمذاهب ، حينما نادى هؤلاء بحرية الاعتقاد ، وطالبوا بضرورة التسامح مع المخالفين عن طريق السماح لهم بحق الوجود وحق التعبير عن مذهبهم ، والقيام بممارسة الشعائر الدينية على الطريقة التى يعتقدون أنها الأصلح .

وعلى صعيد متصل فإن تاريخية المفهوم تفرض إقامة تمييز نظرى أساسى بين مفهوم التسامح فى الماضى ومفهوم التسامح فى الوقت الراهن،فقد اتسم مفهوم الماضى بالطابع الأبوي،فلم يكن انعكاساً لمبدأ، وإنما كان مجرد سلوك فاضل،مما يفترض ضمناً عدم وجود مساواة بين طرفى عملية التسامح،أما مفهوم اليوم فيعود إلى ما رفعته الثورة الفرنسية من شعارات مثل الحرية والمساواة ، فضلاً عن احتدام الجدل فى ذلك الوقت وما تلاه حول تساوي الوضع القانوني والمعنوي لكل الأفراد ، وكان نتاج ذلك تحول مفهوم التسامح من مفهوم ذى طابع أبوي يقوم على تفضل طرف على آخر إلى حق لكل البشر.

وفى إعلانها لمبادئ التسامح، قدمت اليونيسكو تعريفا للتسامح "" يعد التسامح هو الإحترام والقبول والتقدير للتنوع الثرى فى ثقافات عالمنا، وفى طرق تعبيرنا، وفى طرق كوننا بشرا. فالتسامح هو التناسق فى الإختلاف واحترام الإختلاف وقبول الآخر""

كما أن مفهوم قبول الآخر " الآخر هو من يختلف معنا من حيث الدين، أو الثقافة، أو اللغة، أو الجنس، أو التوجه الأيديولجى والفلسفى، أو القومى أو الذكاء، أو الميول، أو السن، أو الفكر، والآخر المختلف يعيش معنا وحولنا لأن الاختلاف سنة الحياة ويعيش معنا ونكمل بعضنا البعض"

لذلك أكدت كتابات الفكر التربوى المعاصر على ضرورة إتخاذ إرشادات بشأن تدريس ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر لتوضيح العلاقة بين التسامح والإعتدال ، وكذلك العلاقة بين دور التربية فى مواجهة أيديولوجيا التطرف والتعصب ، وأيضاً بيان طرق التربية على التسامح واكتسابه بشكل عملى وفعال بعيداً عن الطرق التقليدية وذلك من خلال (على جودة:٢٠٠٨، ٢٥٧-٢٥٩) :

- تقديم نماذج للتسامح كقضية اجتماعية فى العصورالمختلفة كنموذج لتنمية التسامح لدى الطلاب .
- تحليل " شعارات الديمقراطية " فى العصور المختلفة ، ومدى تغيرها وتطورها.
- توضيح الارتباطات بين الحرية المدنية المجردة والمواقف المحسوسة ، حتى يستطيع الطلاب فحص الأبعاد التاريخية والنفسية والإجتماعية لعدم التسامح ، لماذا أنكرت بعض الجماعات حقوق الآخرين ؟ ولماذا ينضم الأفراد إلى تلك الجماعات ؟ ما هو التأثير الطويل والقصيرالمدى لعدم التسامح مع المجرم والضحية والمجتمع ؟

- تدريس كيفية تضمين حقوق الفرد فى النظام القانونى ليتعلم الشباب عبارة "حكم الأغلبية" ، ولماذا من الهام أن يتم حماية حقوق الأقلية ؟ ما هى تلك الحقوق التى تستحق الحماية؟
- احترام الآراء المختلفة والتمييز بين الحقائق ووجهات النظر.
- عند تدريس التسامح مع التنوع فى الاعتقادات، من الضرورى استخدام الإستراتيجيات التى تمنح الطلاب فرصة الأخذ فى الاعتبار الآراءالمتعددة مثل (لعب الأدوار- المحاكاة- المناقشات المنظمة) .
- التعرض للآراء المختلفة حتى لا تقل احتمالية تقدير الطلاب لقيمتها وتعقيدها .
- ضرورة تناول القضايا المرتبطة بالتسامح فى المقررات، وأيضاً من المهم أن يستكشف الطلاب تلك القضايا فى مناخ دراسى تسوده الحرية ، لأن مستوى التسامح يزداد عندما يكون المناخ الدراسى متفتح .

وفى ضوء ذلك يُمثل التسامح نوعاً من الممارسة التى ينبغى أن يأخذ بها الأفراد والجماعات ، وهو الأمر الذى يحتاج إلى مناخ تربوى عام ، ويتطلب وجود مشروع تربوى متكامل يكون بمثابة الإطار المرجعى العام - وغير ذلك من عناصر المنظومة التعليمية بالجامعة وتفاعلاتها ، مما يعكس محاور الرؤية المستقبلية للتعليم الجامعى والتى تشتمل على مجموعة من المبادئ والمفاهيم ومنها :

- تحقيق العدالة الإجتماعية وتكافؤ الفرص والحرية .
- ترسيخ مفاهيم العمل الجماعى والتنوع والتسامح وتقبل الآخر.
- غرس مقومات المواطنة الصالحة والانتماء والديمقراطية.
- القدرة على حل المشكلات واتخاذ القرار والتفكير الناقد والإبداعى .
- تعزيز قدرة المجتمع على تنمية أجيال مستقبلية قادرة على المنافسة فى عالم متغير.

ولعل ذلك يتطلب توفير المناخ الجامعى الذى يستند الى التسامح ، مما يُكسب الطلاب مهارات الحوار والتفاعل وإبداء الرأى بموضوعية وعقلانية ، وفيما يلى بيان دور كل من المدرسة والمعلم والأنشطة فى تحقيق أبعاد التسامح .

ومن هنا لكى يتسهم الجامعة فى صياغة شباب متسامح ومتوافق إنفعالياً وإجتماعياً ينبغى مساعدتهم على أن :

يكونوا فى أمان إنفعالى حتى يتواصلوا مع روحانياتهم الفطرية.

يكون لديهم ثقة بالنفس حتى يتحملوا المسؤلية كاملة عن أفعالهم ولخلق روح القيادة.ومن أجل غرس ثقافة التسامح فى المجتمع يكون على المعلم مساعدة الشباب فضلا عما سبق على :

- احترام وجهات النظر وتقدير الثقافات المختلفة وتقبل النقد ورحابة الصدر فى المناقشة.
- احترام المعاقين بدنياً وغيرها من أنواع الإعاقة ومعاملتهم بكرامة .
- اكتساب مهارات الكتابة والاستماع بشكل جيد ومهارات البحث عن المعلومات وحل المشكلات والتفكيرالناقد ، بما يمكنهم من تحقيق التسامح والسلام الداخلى مع الذات، وبالتالى يصبحوا قادرين على اتخاذ القرارت الهامة والضرورية لتعزيز التماسك الاجتماعى والنجاح الشخصى.
- وللدولة والمجتمع المدنى دور فى تنمية التسامح من خلال المؤتمرات والندوات وإنشاء المعاهد المتخصصة كما فى ألمانيا دورها الأساسى نشر ثقافة التسامح من خلال المصادر والأنشطة كما فى مدينة بران شفيج الألمانية.

دور الأنشطة الجامعية فى تحقيق التسامح وقبول الآخر:

<u>ويُمكن تحديد أهمية الأنشطة الجامعية ودورها فى تنمية أبعاد التسامح وإعداد الطالب :</u>

القادر على التعبير عن رأيه فى مجتمع يتسم بالديمقراطية .

المستوعب لمستحدثات العصر الجديد .

الناضج على المستوى الفكرى والثقافى .

الفعال ذو العقلية الناقدة المتفتحة .

القادر على احترام حقوق الغير وآراءهم .

المؤمن بأهمية العمل الجماعى التعاونى فى البيئة الجامعية وخارجها .

الفاهم لتاريخ وتراث وطنه.

المحافظ على الوحدة الوطنية.

إرشادات لتنمية التسامح وقبول الآخر من خلال المقررات الجامعية :

١- تقديم نماذج للتسامح من خلال فى العصور المختلفة كنموذج لتنمية التسامح لدى الطلاب.

٢- تحليل (شعارات الديمقراطية) فى العصور المختلفة ومدى تغيرها وتطورها.

٣- توضيح الارتباطات بين الحرية المدنية المجردة والمواقف المحسوسة، يستطيع الطلاب فحص الأبعاد التاريخية والنفسية والاجتماعية والدينية لعدم التسامح من خلال دراسات الحالة. لماذا أنكرت بعض الجماعات حقوق الآخرين ؟ ولماذا ينظم الأفراد إلى تلك الجماعات ؟ ما هو التأثير الطويل والقصير المدى لعدم التسامح مع المجرم والضحية والمجتمع ؟

٤- تدريس كيفية تضمين حقوق الفرد في النظام القانوني. يتعلم الشباب بسرعة عبارة " حكم الأغلبية " ، ولكن يقل احتمال أن يضمنوا " مع الأخذ في الاعتبار حقوق الأقلية " . لماذا من المهم أن يتم حماية حقوق الأقلية؟ ما هي تلك الحقوق التي تستحق الحماية ؟ توضيح الارتباطات بالتصريح الدولي لحقوق الإنسان ليعرف الطلاب أن هناك حقوقاً معينة معترف بها لأنها أساسية على المستوى الدولي.

٥- احترام الآراء المختلفة والتمييز بين الحقائق ووجهات النظر..

٦- عند تقديم التسامح للطلاب مع التنوع في الاعتقادات، من المهم أن نستخدم عملية تدريس وتعلم الاستراتيجيات التي تمنح الطلاب فرصة الأخذ في الاعتبار الآراء المتعددة، مثل لعب الأدوار، والمحاكاة ، والمناقشات المنظمة.

٧- وبدون التعرض للآراء المختلفة في قاعة الدراسة، تقل احتمالية تقدير لطلاب لقيمتها وتعقيدها.

٨- بالرغم من أنه من الضروري تناول القضايا المرتبطة بالتسامح في المقررات والأنشطة الجامعية ، إلا أنه من المهام أيضا إن يستكشف الطلاب تلك القضايا في مناخ جامعى تسوده الحرية والتفتح . لا يفيدنا استخدام دراسات الحالة لعدم التحمل في البيئة الدراسية التي لا تتحمل الآراء المختلفة. وثلاث دراسات أولية، كان مستوى التسامح للطلاب مرتبطا بإدراكهم لمناخ دراسي متفتح، يشعرون فيه بالحرية والأمان لكي يعبروا عن أفكارهم وآرائهم.

٩- يبدو انه عندما يرى الطلاب إن أساتذتهم مهتمين بالآراء المتعددة ، وعندما يشعرون أن آراءهم تلقى القبول والاحترام وعندما يستمعون بانتظام للآراء المختلفة ، فإنهم يتحملون أكثر الاعتقادات المختلفة.

ومن خلال تقديم التسامح يجب التركيز على المفاهيم الأخلاقية لدورها في ترقية الأخلاق والحث على الفضائل وترك الرذائل، فالأثر الخلقي لتدريس التاريخ أن يدرك الطلاب المسئولية واحترام وتقدير جهود الأسلاف، واكتساب القدرة على تلمس حسنات التاريخ والاستفادة منها والاتعاظ من مساوئه في مواجهة المواقف والأحداث والمشكلات.

- كما يجب تنمية فكرة التفاهم الدولي من أجل رقي الثقافة البشرية والإحساس بالتعاطف مع الآخرين والتعاون معهم في سبيل تطوير حياة البشر ونشر لواء السلام في العالم.

- تتيح الفرص للفرد للإحساس بالأمن، ذلك أن الفرد في تفاعلاته وممارسته في البيئة المادية والاجتماعية إنما يستهدف تحقيق هذا الإحساس، ولعل ذلك يتضح من أن الفرد الذي تعلم من الخبرات السابقة يكون أكثر فاعلية واطمئناناً حينما يمر بخبرة مشابهة.

وفى هذا الصدد هناك مجموعة من تنمية الفهم الكامل للسلوك الإنساني والدوافع الإنسانية، وكذلك المواقف والأفكار التي أوجدت أعمال وسلوكيات مثل النظام الإقطاعي واستخدام الأطفال وتجارة العبيد والثورات.

١- تعريف الطلاب بالعالم الذي يحيط بهم وفهمهم لعلمهم ومكانتهم في المجتمع.

٢- تنمية قدرات الطلاب لاكتساب وتحليل المعلومات وتبادل وجهات النظر مع الآخرين.

٣- تشجيع الطلاب على صنع استنتاجات واستدلالات مما يُكسبهم القدرة على التفكير السليم.

٤- استخدام الصورة التاريخية بشكل صحيح مما يساعد الطلاب على فهم مفاهيم مثل " التغير –الصراع – الاتحاد – المعتقدات" .

٥- عدم التفرقة بين الأفراد والشعوب داخل المجتمع الواحد بسبب اللون أو الدين.

٦- تنمية الجانب السياسي لدى المتعلم لتحقيق المشاركة السياسية محلياً وعالمياً. تُسهم دراسة التاريخ في ذلك من خلال دراسة المتعلم للأنظمة السياسية والمسائل المرتبطة بها واحترام حقوق الغير، واحترام الرأي والرأي الآخر، وعدم الإعتداء على الآخرين والمساواة أمام القانون.

٧- تشجيع الطلاب على المشاركة فى الأنشطة الجامعية المتعددة بغض النظر عن اختلافهم.

ولذلك تشير الأدبيات التربوية الحديثة إلى أن مفهوم التسامح وأبعاده هو أحد المفاهيم التي ينبغي أن ننطلق منها ونتعامل معها ، ليصبح الإختيار الأول في مختلف المواقف الحياتية لتلافي السلبيات وحل النزاعات والصراعات سلمياً، من منطلق أننا لا نولد بصفة التسامح، ولكننا نكتسبه عندما نتعايشه من وإنما يهدف إلى زيادة وعي المتعلمين نحو تأصيل كيفية إبداء الرأي واحترام استقلاله بعيداً عن التعصب فيما يتصل بعلاج المشكلات العالمية لإتخاذ القرارات الصحيحة وبالتالى تحقيق مجموعة من المهارات حددها حيث تصف في مجملها ما يجب توافره في المتعلم عند إنهائه مرحلة التعليم الجامعى وهي أن:

- يجيد الحوار وتبادل الرأي ويتقبل الإختلاف في وجهات النظر.
- يلجأ إلى التفاوض لحل الخلافات ولا يستخدم العنف.
- يتسامح مع الآخرين دون ضعف أو إستسلام.
- يراعي مشاعر الآخرين ويقدم المساعدة عند الحاجة.
- يستخدم الذكاء العاطفي في تعاملاته وعلاقاته ولا يلجأ للرياء والخداع.

ارشادات لكى تكون أكثر تسامحا قم بقبول وتقدير ما يأتى:

- اجعل عقلك منفتحا.
- اعمل على إزالة الأنماط الشائعة.
- علم نفسك حول اسهامات الناس والمجموعات الثقافية المختلفة
- احترم اختلاف وجهات النظر.
- اظهر التأثير الشخصى من خلال تقديم الخدمات للآخرين بغض النظر عن اختلافهم.

ومن خلال ذلك يمكن تنمية القيم المرتبطة بالتسامح وقبول الآخر

ويؤدى تنمية ثقافة التسامح وقبول الآخر بالجامعة إلى: السلام والإخاء والمحبة ، ونبذ العنف ، ورفض التطرف، واحترام الثقافات المتعددة ، وقبول الآخر ، وتعزيز وعى الطالب بحقوق الإنسان وواجباته ، وترسيخ مبدأ التفكير الحر وتعميم ثقافة تحمل الآخر،مما يساعد على تجانس المجتمع وتعاون أفراده، تحقيق السلام الاجتماعى والوحدة الوطنية، وقبول التعددية والتنوع، وتحقيق التعايش السلمى فى المجتمع ، كل ذلك يحافظ على الأمن القومى للدولة والمجتمع.

أقوال مأثورة

فولتير" كن شديد التسامح مع من خالفك الرأي، فإن لم يكن رأيه كل الصواب ..فلا تكن أنت كل الخطأ بتشبثك برأيك"

جواهر لال نهرو" النفوس الكبيرة وحدها تعرف كيف تسامح"

جوزف جوبير"التسامح جزء من العدالة"

المراجع

١- جمال عبد الجواد (٢٠٠٠): التسامح، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

٢- على جوده محمد(٢٠٠٨): اتجاهات حديثة فى تدريس التاريخ، بنها، مركز الشرق الاوسط للخدمات التعليمية والتربوية.

٣- فارعة حسن محمد (١٩٩٥) : دور المعلم فى دعم فكرة التسامح : الندوة الوطنية حول تعليم التسامح من خلال المدارس المنتسبة ،اليونسكو ، اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة ، القاهرة ، الفترة من٢٥-٢٧ مارس .

٤- محسوب عبد الصادق، تهانى عبد الحميد،(٢٠٠٩): تعليم التسامح(مقالات أجنبية حديثه)، بنها، مركز الشرق الأوسط للخدمات التعليمية.

٥- ميلاد حنا (١٩٩٩): قبول الآخر، القاهرة، الشركة الإعلامية للطباعة والنشر ستاما.

٦- هانى عياد (٢٠٠٦): ثقافة التسامح بين الواقع والمأمول، القاهرة، الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الإجتماعية.